العدد(1454) السنة السادسة -الخميس(12)اذار 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

تقاليد بغدادية تعود للحياة

حفلات أعراس للنساء فقط

عامر القيسي

لم تكن ام سحر تصدق بانها قد عادت لاحياء حفلات الأعراس الخاصة بالنساء مرّة ثانية،بعد ان تعذر إقامتها منذ بروز وسيطرة تيارات دينية متشددة من الطائفتين الرئيسيتين في العراق،السنة والشيعة، وكانت اقامة احتفال لعرس يحتوي في برنامجه رقصا ودفوفا وغناء مغامرة غير مأمونة النتائج، فقد تصل عقوبة المغامرة الى حدود قطع الرأس، وفي افضل الحالات التهجير من المكان بحجة الكفر والارتداد والخروج عن تعاليم الدين الاسلامي.

لقد تعرضت حتى الى محاولة قتل من قبل المتطرفين الإسلاميين، تقول ام سحر سحر ابنة الخمسين عاماً التي يبدو على محياها ملامح جمال شبابي في طريقه الى الذبول الاضمحلال، اما ابنة اختها حمدية، وهي من الفرقة نفسها، فهي امرأة عانس تعدت سن اليأس الزواج كما يقال يشوه قوامها الجميل كرش ناتيء من بطنها، تقول حمدية، انها تعمل مع خالتها ام سحر منذ اكثر من ربع قرن من الزمان، يحيون حفلات الاعراس الخاصة بالنساء فقط وكذلك المناسبات الدينية الحزينة والمفرحة، كولادة الرسول محمد ووفاته وفي محرم وعاشوراء، وتعلق ام سحر على كلام ابنة اختها حمدية :من المفارقات التي حصلت معنا سابقا، اننا نكون مطلوبين بالساعة والتوقيت لاحياء حفلة عرس تليها في مكان آخر مناسبة دينية حزينة، فننتقل من الغناء والرقص الى اللطم والنواح.

أعراس خاصة بالنساء، عادة ما تقيمها العوائل المحافظة، حيث تقوم والدة العروس او والدة العروسة بدعوة القريبات والصديقات لاحياء يوم الحنة أو الزواج في دار العروس او العروسة.

في مثل هذه الاحتفالات تكشف النساء المحجبات عن حجابهن وتظهر زينتهن على ٢٤ حباية كما يقال في العامية البغدادية، وتضع البعض منهن البوستيجة على رؤوسهن لاضفاء مسحة جمال اضافية لجمالهن الطبيعي او تقليدا لموضة شعر لمطربة او ممثلة مشهورة.

يبدأ الاحتفال عادة بالغناء، وحين تسخن الحاضرات يبدأ الرقص وهز الارداف والاكتاف والبطون في فرح بلا مخاوف من الغرباء وهم عادة ما يكونون الرجال !!

هذا التقليد البغدادي القديم والاصيل اختفى تقريبا مع ظهور اعمال الإرهاب وهيمنة التيارات الدينية الإسلامية المتشددة على المناطق والشوارع مما افقد الحياة البغدادية بعضا من ابرز ملامح حياتها الاجتماعية التي ظلت ملازمة لها منذ مطلع القرن التاسع عشر المنصرم.

(أبو أحمد) وهو عازف الايقاع مع فرقة ام سحر، رجل هزيل القوام في العقد السادس من عمره، كان يرتدي دشداشة رمادية وعقالا اسود يفرش تحته يشماغا بلونين الاحمر والابيض . ومن شروط اختيار عازف الايقاع للفرقة ان يكون بصيرا، لكنه برغم عماه يدير ظهره للنساء اثناء الرقص والغناء زيادة في الاحتياط.

يقول أبو احمد عن عمله: الرزق في هذا العمل جيد جدا، خصوصا اذا كان اصحاب الحفل من الميسورين، وانا اعمل مع ام سحر (رئيسة الفرقة) منذ تأسيسها في عام ١٩٦٩عندما احيت احدى العوائل حفلا خاصا احتفاء بعودة احد ابنائهم من المنفى الذي اضطر اليه بعد انقلاب شباط ١٩٦٣.

تقليد هذه الاحتفالات عاد وبقوة الى واجهة الممارسات الاجتماعية البغدادية بعد نجاح خطة فرض القانون التي انطلقت في ١٣ /٢ / ٢٠٠٧ والتي كبحت جماح القوى المتطرفة الدينية الاسلامية مما اتاح الفرصة لبعض النشاطات الاجتماعية التقليدية من العودة الى الحياة مرّة ثانية.

تقول أم سحر انها وجدت نفسها في هذا الكار الذي تسلمته من والدتها، فقد كنت ارافق والدتي في المآتم والأفراح، ولأجل ذلك تركت الدراسة في الصف الثالث المتوسط لاتفرغ لهذه المهنة،وزوجي صاحب محل خياطة في شارع الرشيد ببغداد ولا اعتراض له على عملي، فنحن نعمل بشرف ونحترم الالتزامات الاجتماعية المرعية.. قبل سنتين لم نكن نستطيع ان نقيم حفلا لعرس او فرح، وان حصل ذلك، وبحدود ضيقة، فانه يتم بسرية تامة وتتحمل صاحبة الفرح مسؤولية جلبنا من البيت واعادتنا بعد انتهاء الاحتفال.

وعن قصة الرجل الاعمى (أبو احمد) عازف الايقاع تقول ام سحر :ان قصته قصة، فهو ابن جار لنا منذ زمن وكان صبيا في العاشرة من عمره وكان اعمى منذ الولادة، لكنه كان يجلس في باحة دارهم ويضرب على الطبل بايقاعات ممتعة لاغان شائعة وراقصة عراقية ومصرية،وكنا نحتاج في عملنا الى ظل رجل لكي لانتعرض الى مضايقات من اي كان، فضممته الى الفرقة بعد اخذ موافقة والده الذي كان مسرورا بعرضنا ومنذ ذلك اليوم وهو جزء من الاسرة والفرقة.الفرق من هذا النوع عادة ما تتكون من امرأتين او ثلاث، جميعهن يتمتعن بصوت رخيم وجهوري وتكون هذه الاصوات قادرة على ابكاء النساء او اشعال رغبة الرقص والغناء في دواخلهن حسب نوع المناسبة . و اجرة مثل هذه الفرق تقاس بالساعات حيث تحصل الفرقة في الساعة الواحدة من ١٠٠ الى ١٥٠ الف دينار عراقي، وفي أيام عاشوراء تحديدا يبلغ دخل الفرقة من عشر ساعات عمل في اماكن مختلفة الى اكثر من مليون نصف المليون دينار، فيما تتضاعف الاجرة بشكل تلقائي في حفلات الاعراس بسبب عادة نثر النقود فوق راس الراقصة او المغنية، وقد تطور عمل هذه الفرق في الشهور الأخيرة لتنتقل الى صالات الاعراس العامة ولكن للنساء فقط . ويمنع نهائيا التصوير داخل هذا الطراز من الاحتفالات لان المحتفلات يتفرعن فتظهر اجزاء من اجسادهن كالذراعين والكتف والصدر وهذا غير مسموح به بطبيعة الحال لان الصور او الفلم قد ينتقل الى أيد غير امينة تسيء استعماله مما يقود في النهاية الى مشاكل اجتماعية معقدة تكون نتائجها في معظم الاحيان وخيمة .

تقول هناء وهي امرأة متزوجة وام لطفلين : ان حضوري مثل هذه الاحتفالات هو للترويح عن النفس، فأماكن التسلية قليلة في بغداد ولا يمكن ان اغني فيها او ارقص، وانا اعتبر الرقص حاجة انسانية حقيقية، ولو حضرنا الاحتفالات المشتركة، خصوصا في اعراس الغرباء، فاننا نذهب للفرجة والاكل فقط وهذا ليس عرسا حقيقيا ! فيما تعتقدام مريم، وهي امرأة مسيحية، بانها تحضر هذا النوع من الحفلات بناء على دعوة جارتها المسلمة (أم محمد) التي غالبا ماترافقها الى مثل هذه الحفلات النسائية الخاصة، ذلك ان المسيحيين طائفة منفتحة اجتماعيا ولاحاجة لها بالتالي الى مثل هذه الاحتفالات الأحادية.

الزراعة في الرمادي

تصحر الأراضي والفلاح يشتري الخضراوات من المدينة

الرمادي/ مصطفى محمد شهاب

تعد الزراعة ولعقود طويلة العمود الفقري لمدينة الرمادي، من حيث إنتاجها مختلف المحاصيل الزراعية، سواء كانت محاصيل حبوب او خضر او فواكه. وكانت تشكل النسبة الأكبر بين الحرف التي يزاولها الناس، وكانت المصدر الأول لكسب لقمة العيش، فأغلب المراحل العمرية من سكان المدينة يعملون في الزراعة. ولا يقتصر العمل على الرجال فقط حيث كانت النساء تمارس الزراعة كذلك، وكانت هذه المدينة تسد احتياجاتها الزراعية ولمختلف المحاصيل من أرضها، لان اغلب الأراضي كانت مزروعة، كانت اغلب العوائل لا يوجد لها دخل يومي سوى من هذه الحرفة. التقيت بالدكتور طارق محمد عبد عميد كلية الزراعة في جامعة الانبار فحدثني عن واقع الزراعة في الرمادي قائلاً: اذا أردنا ان نضاهي الزراعة مثل باقي الدول المتقدمة فيجب ان نستخدم الطرق الزراعية الحديثة والعلمية، كذلك يجب استخدام طرق الزراعة المحمية كالبيوت البلاستيكة او البيوت الزجاجية على نطاق واسع.

كذلك تفعيل دور المختبرات الزراعية، والدليل على ذلك ان بعض الدول التي تعد نفسها دولا زراعية هي بالأساس لا تمتلك مساحات كبيرة من الأراضي الصالحة للزراعة، وهم يستخدمون طرق الزراعة الحديثة التي تتلخص بانتخاب أصناف جيدة للمحاصيل الاستهلاكية التي يحتاجها السوق، ومن ثم توضع في أوعية مختبرية مختصة. وبعد وقت قصير تتم عملية التجذير في هذه القطع الصغيرة، ومن ثم بعد النمو داخل المختبر تصبح قادرة على متابعة نموها في الحقل، ولكن مثل هذه الطرق غير مفعلة في الرمادي بسبب عدم الاهتمام بها، اما اذا أراد الفلاح ان يزرع مباشره في الحقل فلا يجد المقومات المناسبة للزراعة.

ومن اللافت للنظر ان كلية الزراعة نفسها خالية من الاشجار والمحاصيل والزهور. ومن خلال جولتي الاستطلاعية حول مشاكل الزراعة في هذه المدينة التي يخترقها الفرات من الغرب حتى الشرق، التقيت بالمهندس الزراعي عبيد فرحان غريب فحدثني حول الواقع الزراعي قائلا: الواقع الزراعي متخلف اصلا، وتراجع كثيرا لأسباب موضوعية ربما أهمها الجانب الأمني، وتوجه الدولة الكلي نحو الاهتمام بالبنى التحتية وترك الاهتمام بهذا القطاع الهام. وبقت الزراعة تراوح مكانها، ولكن اعتقد انه مرسوم لها أفاق من قبل المسؤولين لجلب الاستثمار من خارج العراق، ولكن هذه الفكرة لم تتجسد على الواقع حتى الان، لتأخذ دورها بالشكل الصحيح، الوضع الأمني كما أسلفنا مازال هشا، والطاقة الكهربائية التي تعد عمود الزراعة مازالت لا تفي بالغرض المطلوب. هذا اذا ما علمنا انه في الانبار، وفي الرمادي بالذات، أراض زراعية شاسعة اذا ما امتدت لها يدٍ الاعمار والخبرة والدعم المادي. وستكون بالتأكيد سلة العراق الغذائية، ورصاصة الرحمة اطلقت على الزراعة منذ بداية عام ٢٠٠٤ حيث لا يوجد هناك مجال للتفكير في تطوير الزراعة بسبب سيطرة الإرهابيين على المدينة، وكانت جميع الأراضي مستهدفة من قبل القوات الأمريكية لان الإرهابيين كانوا موجودين في البساتين والدور، مما أدى الى عزوف المزارعين عن الذهاب الى أراضيهم الزراعية.

كل ذلك أدى الى توقف الحياة الزراعية بشكل كامل، ناهيك عن تردي حالة التيار الكهربائي وارتفاع اسعار الوقود. ومنذ ذلك الحين أخذت المحاصيل الزراعية منحنى آخر من حيث سعرها في السوق، وما زاد سعرها أيضاً دخول السلع السورية المستوردة حيث غطت الأسواق بشكل كامل، وكما هو معروف فان اقرب محطة لهذه السلع هي محافظة الانبار بحيث تصل هذه المحاصيل بسعر تنافسي مع الاسعار الموجودة. الفلاحون يشترون المحاصيل المستوردة، بالرغم من ارتفاع ثمنها، ومما زاد من الطلب عليها شكلها الجميل. وبعض المحاصيل تصل الى السوق في غير وقتها الطبيعي لانهم يزرعونها تحت ظروف مناخية مسيطر عليها، وانني ادعو الحكومة المحلية في الرمادي الى النهوض بواقع الزراعة بحيث يستفيد جميع الاطراف، المستهلك والسوق والفلاح. وبالانتقال من ضفة المختصين بالزراعة الى الفلاحين ذاتهم التقيت بالمزارع (ابو علي) فحدثني عن هموم الزراعة وتفاصيلها بالقول: كنا في وقت سابق لا توجد لدينا مهنة غير الزراعة، لاننا ورثناها من آبائنا وأجدادنا، فلا يمر يوم الا ونذهب الى الحقل كي نتفقد أرضنا. وحتى من لا يملك أرضاً يذهب ويقوم بزراعة ارض غيره لان بعض الناس يملكون المساحات الزراعية الواسعة. كنا نأكل من أرضنا، والفائض عن حاجتنا ننقله الى السوق لان مقومات الزراعة في ذلك الوقت كانت متوفرة، من حيث الأمان، كنا نسقي أرضنا في الليل دائما، كذلك توفر الكهرباء والدعم الموجود كالأسمدة والمبيدات الزراعية.

في السنوات الأخيرة أصبحت الاسمدة تصلنا بسعر مرتفع، كذلك تردي وضعية الكهرباء التي اثرت علينا بشكل سلبي، مما قلل الاهتمام بالزراعة شيئا فشيئاً، أصبحنا نزرع نصف الأرض ونترك الباقي لاننا لم نعد نستطيع زراعة الأرض بأكملها، ومما زاد الطين بلة هو فرض الحصار على العراق حيث دمرت الزراعة بشكل كامل بعدما كنا نصدر الحنطة والشعير وباقي المحاصيل الى الخارج أصبحنا نستوردها من الدول التي كنا نصدر لها!!! وبعد سقوط النظام كنا قد استبشرنا خيرا ولكن انقلبت الامور رأسا على عقب حيث تردى الوضع الأمني، ولم نستطع الوصول الى أرضنا لكي نزرعها، والجميع يعلم ما عانته مدينة الرمادي من هيمنة الإرهابيين، وأناشد المسؤولين القائمين على الزراعة الالتفات لهذا المجال المهم والكبير في الحياة اليومية.

والتقينا بالست شذى محمد، ربة بيت، وسألتها عن واقع سوق الخضار وكيف اثر تدهور الزراعة في الرمادي على الاسعار وتوفرها فحدثتني قائلة : ان واقع الزراعة في مدينة الرمادي غير مطمئن تماما. كنت اذهب الى السوق لكي اجلب الخضراوات والفواكه فكانت بسعر معقول بحيث جميع العوائل تستطيع ان تشتري حاجتها من الموجود في السوق على الرغم من رواتبنا الشهرية في الوقت السابق. اليوم ارتفعت الاسعار بشكل كبير جدا والسبب معروف للجميع، لان جميع ما موجود في اسواقنا الحالية هو مستورد. استطيع ان الخص ما يدور حاليا في الرمادي، وهو عدم اهتمام الحكومة المحلية في هذا المجال. فالاموال التي تهدر هنا وهناك حري بالمسؤولين ان يعطوا ولو جزءا بسيطا من هذه الاموال لهذا المجال لكي يعود سوقنا يزهو بالمحاصيل التي تنتج من ارضنا. وبعد ذلك ذهبت الى محلات البقالة الموجودة في المدينة والتقيت بالبقال ابو صفاء فدار الحديث بيننا فقال :كان في السابق كل أصحاب المحلات يذهبون الى (علوة الرمادي) التي يوجد فيها محاصيل الخضر والفواكه كافة، ونشتري من الفلاحين الذين يأتون ببضاعتهم كلٍ حسب حاجته واختصاصه في البيع. كان الموجود هو محصول (الديرة)، أي من ارض الرمادي. ونأتي بالمحاصيل الى السوق ومنذ الصباح الباكر نقوم بالبيع ويأتي المواطنون لكي يشتروا كل حسب حاجته وبأسعار زهيدة. ولكن اليوم جميع المحاصيل الموجودة هي مستوردة واسعارها غالية.

التحسن الأمني وانتشار مقاهي الانترنت

بغداد/ حيدر البطاط

لم تكن مقاهي الانترنت في بغداد وباقي انحاء العراق منظرا مألوفا، كما هو حال دول عربية تحيط العراق، مثل الأردن والكويت والسعودية، إذ كانت الاتصالات تحت سلطة ورقابة الدولة، إلى جانب التأثير الساحق للعزلة التي تسبب بها الحصار الاقتصادي الذي كان مفروضا على العراق منذ احتلال الكويت وحتى وقت قصير.

إلا أن السنوات التي تلت انهيار النظام السابق وسيطرة قوات التحالف على العراق، شهدت نموا غير مألوف لظاهرة مقاهي الانترنت، وعلى الأخص في مناطق وسط بغداد وشوارعها الرئيسة.

وتشهد بغداد افتتاح اعداد كبيرة من مقاهي الانترنت ويعزو بعض الخبراء المحليين الانتشار القياسي لمقاهي الانترنت، التي يتوقعون لها أن تتوسع بشكل كبير خلال الأشهر المقبلة، إلى عدة أسباب من ابرزها وجود شريحة واسعة من المتعلمين واصحاب الشهادات العليا المتعطشين للدخول في عصر المعلوماتية والتواصل مع العالم، ممن لم تتوفر لهم الادوات المناسبة في الماضي.

يقول الدكتور حسين محمد علي كبه، وهو استشاري اقتصادي يدير شركة توريد نظم معلومات لمقاهي الانترنت وغيرها من الشركات، إن المحاولات الحالية لافتتاح مقاهي الانترنت مدفوعة بشكل رئيس لخدمة الأغراض التجارية أكثر من كونها لخدمة الزائر العام.

ويشير الدكتور إلى أن انتشار هذه المقاهي حدث خلال أيام قليلة بعد التاسع من نيسان/٢٠٠٣، يوم سقوط نظام الحكم السابق، لكن مشكلة الكلفة المالية للدخول إلى الانترنت ظلت قائمة، وهي خارج امكانيات معظم العراقيين.

لكنه يرى في الوقت نفسه أن المنافسة التجارية كفيلة بخفض الأجور الحالية البالغة قرابة دولار للساعة إلى معدل معقول قد يبلغ نحو دولار أو أقل للدقيقة، وهو ما سيجعلها في متناول شريحة أكبر من العراقيين، الذين يتوقع أن تتحسن ظروفهم مع الانتعاش المتوقع للاقتصاد العراقي.

أما عباس صباح، وهو مهندس مدني وأحد الزوار المواظبين على الانترنت في بغداد، فيقول إن تردده على المقهى يعود بالدرجة الاولى إلى تسيير الأمور التجارية للشركة التي يعمل بها، لكنه يهوى أيضا تبادل الاحاديث مع اصدقاء تعرف عليهم في غرف الدردشة، ومنهم من الصين.

ويضيف أنه يشعر بدخوله إلى الانترنت أن العالم تحول بالفعل، وليس بالقول الرمزي، إلى قرية صغيرة ليس فيها حدود أو موانع أو قيود إلا الذاتي منها، كما أنها لا تستهلك الكثير من الوقت قياسا بوسائل التواصل الأخرى، وأضاف: ان العالم تحول بالفعل إلى قرية صغيرة ويقول إن اهتمامه الشخصي بالتصوير الفضائي لم يكن له أن يتحقق إلا عن طريق الاتصال بالمواقع العلمية المتخصصة التي لها مواقع على شبكة الانترنت، التي يتوقع أن يتحول إلى أحد المدمنين عليها في المستقبل.

ويؤكد هذا المهندس الانترنتي أن الشباب العراقيين ذوي قدرات واسعة في السيطرة على مفاتيح شبكة الانترنت ومعرفة خفاياها وتقنياتها المتطورة جدا، واصفا بعض الذين يعرفهم بأنهم "عباقرة" في هذا المجال، برغم عدم توفر ما هو متوفر لغيرهم من الشباب في العالم، وبرغم العزلة الطويلة السابقة.

ويبدو أن اتساع مقاهي الانترنت وثقافتها في العراق سيعتمد بدرجة أساسية على تحسن الأوضاع المعيشية، إلى جانب تعود المستخدم العراقي، وخصوصا الشباب، على تنفس الحرية بعد أن طغت على حياة الكثير منهم اهتمامات غير منتجة ولا طائل منها.